هل تلتزم بموعد الثلاثين من يونيو: أمريكا وسيناريوهات الانسحاب من العراق

05-5-2004

ويبدو أن الأوضاع الراهنة لا ترجح كفة سيناريو الانسحاب العاجل، بالنظر إلى أن تكلفة هذا الانسحاب ستكون مرتفعة، ويبقى السيناريو المرجح يتراوح بين الانسحاب في الموعد المقرر في نهاية يونيو القادم أو فى فترة لاحقة لا يعلم مداها إلا الله، وطالما أن ثمن البقاء سيكون أقل من ثمن الخروج، فلن تخرج الولايات المتحدة، وإذا خرجت فلن يكون خروجهاسهلاً.

بقلم عبدالله صالح

مواد ذات علاقة

خطط الإدارة تبدد أوهام 'السيادة'!

أدى تصاعد عمليات المقاومة العراقية لقوات الاحتلال الأمريكى، واستمرار حالة التدهور الأمنى والسياسى فى البلاد، إلى تشكك الكثير من المراقبين فى إمكانية نقل السلطة للعراقيين في الموعد المزمع في الثلاثين من يونيو المقبل. حيث باتت الولايات المتحدة تواجه مأزقاً كبيراً رغم نجاحاتها المحدودة فى احتواء العنف فى الفلوجة، وبدء نوع من المفاوضات، التى دحضت توقعات البعض ممن راهنوا على إمكانية نشوب ثورة شاملة فى العراق يتوحد خلالها السنة والشيعة. أيا ما كان الأمر، فإن السيطرة على الأوضاع الأمنية فى الفلوجة لم تحل دون تفجر الأوضاع فى مناطق عراقية أخرى، وفى مقدمتها البصرة، وما حولها، بصورة أصبحت تكرس المأزق الأمريكي، خاصة مع قيام أربع دول مشاركة فى التحالف بسحب قواتها وهي النرويج وأسبانيا وهندوراس والدومينيكان وهو اعتبر هزيمة نفسية وسياسية للولايات المتحدة، رغم تدني القيمة العسكرية لهذا الانسحاب.

ومن جانب آخر، فقد ظهر جلياً فشل المؤسسات التي أنشأها الأمريكان فى التعاطى مع التطورات المفاجئة فى العراق، وهو ما تمثل جزئياً فى عدم قدرة الشرطة على التعامل مع الاضطرابات المسلحة، ورفض عدد من وحدات الجيش العراقى المساهمة فى عمليات المواجهة ضد المقاومين فى الفلوجة. فضلاً عما تبدى من عجز مجلس الحكم الانتقالي، وتصاعد الانتقادات المتبادلة بين الأمريكان وقوى عراقية كانت تستعد لتولى مناصب قيادية فى الحكومة العراقية المزمع تشكيلها.

ورغم تأكيد الولايات المتحدة على عزمها الانسحاب فى الموعد المقرر، فإنه فى ظل عجزها عن احتواء الأوضاع الداخلية، وتصاعد المنافسة بين القوى المطالبة بالمشاركة فى ترتيبات ما بعد 30 يونيو، فإنها قد اتخذت بعض الترتيبات على عدة جوانب فى السياسية الأمريكية استعداداً لمرحلة نقل السلطة، ومنها التراجع عن سياسة نسف البعثيين والسعى لاقامة علاقات مع ضباط سابقين فى أجهزة الأمن العراقية، وزيادة عدد القوات الأمريكية والبريطانية فى العراق تحسباً لأى تدهور أمني متوقع، فضلاً عن السماح بدور أكبر للأمم المتحدة فى العراق فى الفترة المقبلة، فيما يتعلق بشكل الحكومة العراقية وترتيبات إقامتها، وهو ما يتضمن فى طياته سعياً أمريكيا لاضفاء نوع من المشروعية على الحكومة المؤقتة، ومحاولة دفع المنظمة الدولية للاعتراف بالوجود الأمريكى ذاته كأمر واقع. وهكذا فإن اقتراب موعد الثلاثين من يونيو يدفع الأمريكيين إلى القلق والسعي الدءوب لمعالجة أخطائهم من خلال سياسات جديدة يجرى تجربتها على أرض الواقع.

ولكن هل ستسير الأمور وفقاً لما يأمله الأمريكان؟

الحقيقة أن هناك ثلاث سيناريوهات متوقعة بشأن نقل السلطة للعراقيين فى نهاية يونيو المقبل، أول هذه السيناريوهات وأفضلها من وجهة النظر الأمريكية، يتم فيه نقل السلطة إلى العراقيين فى الموعد المقرر بعد أن يتفقوا على نوع وشكل النظام المستقبلي، وعليه ينتخب مجلس الشعب ويعين الرئيس أو مجلس الرئاسة حسب مشروع الدستور الجديد. ووفقاً لهذا السيناريو يقبل العراقيون بعضهم بعضا، خاصة السنة وهم الذي يعتبرون أنفسهم الخاسر الأكبر.وتبنى المؤسسات العراقية ويترك الأميركيون العراق للعراقيين، ويتفقون معهم على كيفية جدولة الخروج العسكري الأميركي من العراق بشكل يرضي الفريقين، أو العمل على "شرعنة" هذا الوجود عبر المؤسسة الأهم في العالم ألا وهي مجلس الأمن أو عبر الناتو. وقد تكون هذه "الشرعنة" مدخلا لمشاركة القوى الكبرى خاصة أوروبا في المشروع العراقي، وحتى في التعاون لمحاربة الإرهاب. ثم تبنى القوى الأمنية العراقية حسب ما يرغب به العراقيون.

ووفق هذا السياق، يجب أن يبنى الجيش العراقي بحيث لا يرسل إشارات خاطئة للمحيط الجغرافي الذي كان عرضة لتهديدات هذا الجيش. وانطلاقا من العراق وبعد النجاح المفترض فيه حسب هذا السيناريو، يوجه الأميركيون اهتمامهم نحو القضية الأهم للعرب والمسلمين ألا وهي القضية الفلسطينية ليأتي الحل عادلا، وعلى الأقل مقبولا من الفلسطينيين أنفسهم، ليتحقق بذلك حلم المحافظين الجدد عندما قالوا "إن طريق فلسطين تمر ببغداد".

أما السيناريو الثاني فيتضمن تدهور الأوضاع بصورة تدفع الأمريكان لنقل السلطة للعراقيين قبل الموعد المقرر، ويزداد مستوى العنف خاصة ضد المدنيين وكل من يتعاون مع الأميركيين، وتزداد الفوضى في العراق بحيث لا يمكن للأميركيين الحسم بهدف فرض

الاستقرار. وفي هذا السيناريو تنقل أميركا السلطة إلى العراقيين بشكل سريع، وتتراجع إلى خلف الكواليس لحماية جنودها. وتتسلم القوى الأمنية العراقية الأمن، وتستمر الاعتداءات عليها. وفي هذا السيناريو أيضا ينتقل الجدل السياسي على مستقبل العراق وعلى شكل النظام السياسي وإعادة توزيع المكاسب السياسية إلى العراقيين مباشرة، وقد يتأزم الوضع كثيرا، خاصة أن الثقة بين الفرقاء ليست في مستوى جيد، فلكل فريق منهم أجندته الخاصة. فالسنة يريدون استعادة ما خسروه بعد سقوط البعث، والأكراد يريدون حكما ذاتيا إلى أقصى حد، خاصة وأنهم كانوا عانوا الكثير من النظام السابق، وهم الحلفاء الأكثر ثقة لدى الأميركيين. أما الشيعة فهم يريدون حكم العراق كله، خاصة أن المناسبة تاريخية لهم بعد أن كانوا قد خسروها في ثورة العام 1920 ضد الإنجليز، مع العلم بأنهم كانوا حجر الثقل في تلك الثورة.

وقد يحدث الانسحاب الأمريكى فجأة وبصورة مباغتة بما قد يؤدي إلى استحالة الحفاظ على وحدة العراق، ليصبح مسرحا للصراعات العرقية والمذهبية. وقد تؤدي هذه الصراعات إلى تدخل دول الجوار للحفاظ على أمنها القومي وعلى وحدة أراضيها، خاصة أن الأكراد مثلا يتوزعون على كل الدول المحيطة بالعراق تقريبا. فقد تستغل إسرائيل هذا السيناريو لترحيل كل الفلسطينيين إلى العراق خاصة المثلث السني، وقد تعمد إلى الاعتداء على حزب الله في لبنان.غير أنه من المؤكد -في حال الانسحاب الأميركي- أن التأثير السلبي سيكون حتما على كل الأنظمة الصديقة للولايات المتحدة، وسيتحسن وضع القاعدة والمنظمات الأصولية، فتظهر أميركا أنها فعلا ضعيفة ويمكن قهرها.

وقد يقول المحللون إنه بسبب أهمية العراق للولايات المتحدة -كما ذكرنا آنفا- وبسبب الانعكاسات السلبية الكبيرة عليها في حال الانسحاب، فهي قد تعمد مثلا إلى الانكفاء إلى الشمال الكردي وتترك الوسط والجنوب لمصيره. فهي تأمن حتما للأكراد وهم ليس لهم سواها، فهم الأصدقاء الأصدقاء والحلفاء الحلفاء. وإن التمركز في الشمال العراقي قد يؤمن لأميركا قاعدة انطلاق عسكرية بكل الاتجاهات، كما يؤمن لها السيطرة على أكبر قدر من النفط العراقي.

ويبقى السيناريو الأخير هو استمرار وجود الولايات المتحدة في العراق بعد موعد الثلاثين من يونيو، سواء بمفردها أو بالتعاون مع حلفائها، وقد يتكرس الوجود الدولى فى العراق عبر آلية الأمم المتحدة، ومن خلال تفويض سلطاتها للولايات المتحدة وحلفائها لحفظ السلم والأمن الدوليين، الذى سيقرر مجلس الأمن أنه أصبح مهدداً بفعل الأوضاع فى العراق، بما يفرض الشرعية على الوجود الأجنبى فى العراق، الذى سيستمر فى العراق وفقاً لهذا السيناريو، لسنوات طويلة.

ويبدو أن الأوضاع الراهنة لا ترجح كفة سيناريو الانسحاب العاجل، بالنظر إلى أن تكلفة هذا الانسحاب ستكون مرتفعة، ويبقى السيناريو المرجح يتراوح بين الانسحاب في الموعد المقرر في نهاية يونيو القادم أو فى فترة لاحقة لا يعلم مداها إلا الله، وطالما أن ثمن البقاء سيكون أقل من ثمن الخروج، فلن تخرج الولايات المتحدة، وإذا خرجت فلن يكون خروجهاسهلاً.